

أَهْلُ الْإِسْتِجَابَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٢٧ صَفَرِ ١٤٤٤ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْإِسْتِجَابَةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَدَلِيلُ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، وَالْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ، وَلِلْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ثَمَارُهَا الْيَانِعَةُ، وَبَرَكَاتُهَا الْهَائِنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمِنْ تِلْكَ الثَّمَرَاتِ: الْأُولَى: حَيَاةُ الْقَلْبِ فِي الْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ»: أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ حَيَاتَنَا إِنَّمَا هِيَ بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ اللَّهُ وَالرَّسُولُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ. فَعَلِمَ أَنَّ مَوْتَ الْقَلْبِ وَهَلَاكَهُ بِفَقْدِ ذَلِكَ. وَشَبَّهَ سُبْحَانَهُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لِرَسُولِهِ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ، فَإِنَّ أَبْدَانَهُمْ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ، فَقَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ وَقُبِرَتْ فِي أَبْدَانِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾. وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ
وَأَجْسَامُهُمْ، قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورٌ

الثَّانِيَةُ: الْإِسْتِجَابَةُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى) * وَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ.

الثَّلَاثَةُ: مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ الْإِسْتِجَابَةُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

الرَّابِعَةُ: الْإِسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

الخَامِسَةُ: الْإِسْتِجَابَةُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلذُّنُوبِ، وَتَجَنُّبِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

(٢)
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ خَطَّ التَّارِيخُ صَفَحَاتٍ مُشْرِقَةً مِنْ حَيَاةِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الأوَّل: مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُ حَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُ حَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بِخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ». فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

الثَّانِي: مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءَ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ».

الثَّلَاثُ: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَتَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَخْذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

الرَّابِعُ: مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ: سَأَلُوا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ الْفَضِيخِ، فَقَالَ: مَا كَانَتْ لَنَا خَمْرٌ غَيْرَ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الْفَضِيخَ [وَالْفَضِيخُ: الْخَمْرُ تُصْنَعُ مِنَ الْبُسْرِ وَالتَّمْرِ]، إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَةَ، وَأَبَا أَيُّوبَ، وَرِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِنَا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ بَلَغَكُمْ الْخَبْرُ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنَّ

الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ، أَرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ، قَالَ: فَمَا رَاجِعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ.

الخَامِسُ: أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ قَتْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بَعْدَ أَنْ التَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ عَلَاهُ شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ صَاحِبِكُمْ تُغَسَّلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ».

السَّادِسُ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ.

السَّابِعُ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

«مُرُوطَهُنَّ» أَيِ أَكْسَيْتَهُنَّ الْوَاحِدُ مُرْطٌ يَكُونُ مِنْ صُوفٍ، وَرُبَّمَا كَانَ مِنْ خَزٍّ، أَوْ غَيْرِهِ يُؤْتَرُّ بِهِ. عِبَادَ اللَّهِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْإِسْتِجَابَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ لَهَا مَوَانِعٌ، مِنْهَا:

الأَوَّلُ: الْكِبْرُ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

الثَّانِي: الْحَسَدُ. وَهُوَ الدَّاءُ الَّذِي مَنَعَ الْيَهُودَ مِنَ الْإِسْتِجَابَةِ لِلْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.

الثَّالِثُ: التَّعَصُّبُ وَالتَّقْلِيدُ الْأَعْمَى لِلْآبَاءِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، وَهُوَ مِنْ أَقْبَحِ مَوَانِعِ الْإِسْتِجَابَةِ.

الرَّابِعُ: اتَّبَاعُ الْهَوَى. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُوضِحًا عِلَّةَ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ الْكُفَّارِ لِلرَّسُولِ ﷺ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

الخَامِسُ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ. فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيُوقِنُونَ بِهِ، لَكِنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِسْتِجَابَةِ لَهُ الْخَوْفُ عَلَى النَّفْسِ أَوْ الْأَهْلِ أَوْ الْمَصَالِحِ، وَهَذَا مِمَّا مَنَعَ قُرَيْشًا أَنْ يَسْتَجِيبُوا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ شَرِيعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَتَرْكِ الْإِسْتِجَابَةِ أَضْرَارًا وَخِيْمَةً، مِنْهَا: الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمُعْرِضِ وَقَلْبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ»: «أَيُّ: إِنْ تَرَكْتُمْ الْإِسْتِجَابَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ عَاقِبَكُمْ بِأَنْ يَحُولَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْإِسْتِجَابَةِ بَعْدَ ذَلِكَ».

الثَّانِي: الْمُعْرِضُ عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ رَافِضٌ بِحَالِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي». وَلِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ جَعَلَ اللَّهُ عُقُوبَةَ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ طَوَاعِيَةً فِي الدُّنْيَا الْإِجْبَارَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا مُنْكَرِي الْبَعْثِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾: أَيُّ: تَقُومُونَ كُلُّكُمْ إِجَابَةً لِأَمْرِهِ، وَطَاعَةً لِإِرَادَتِهِ، بَلْ سَيُودُونَ الْإِسْتِجَابَةَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا».